(السنة الثالثة) (العدد الحادى عشر)

الأخاء

مجلة علمية تاريخية أدبية روائية مصورة

مصر فبراير (شباط) سنة ١٩٢٧ — رجب سنة ١٣٤٥

جرجى زيدان فى مكتبه

مؤسس النهضة العلمية فى الشرق

١٨٦١ — ١٩١٤

نزين اليوم صدر مجلتنا بترجمة حياة وأعمال فقيد الأدب العربي في الشرق المرحوم جرجي زيدان مؤسس مجلة الهلال ومؤلف الكتب العديدة التي تداولتها الأيدي في الشرق والغرب بل تخاطفها القراء وهم متفقون بل مجمعون على أنها خير ما ألف في اللغة العربية في هذا القرن

كان أكثر كتاب اللغة العربية قبله وبعده يعتمدون فيما يكتبونه وينشرونه في عالم المطبوعات على الكتب الاجنبية والترجمة عنها أما صاحب الترجمة فانه خالف

هذه القاعدة وألف كتبا عديدة ولا سيما التاريخ الاسلامي فقد كتبه بشكل روايات كان لها ضجة كبرى في الأدب العربي وترجمها الكتاب الغربيون والشرقيون الى لغاتهم وبذلك رفع شأن الادب العربي

ولد رحمه الله في مدينة بيروت في ١٤ دسمبر (كانون أول) سنة ١٨٦١ وتلقى مبادىء العلوم في بعض مدارسها الابتدائية وقضت عليه الاحوال بمغادرة المدرسة صغيراً لمساعدة والده في أشغاله وهو لم يبلغ الثانية عشرة من عمره وكان في خلال أشغاله يمحل والده لا يترك فرصة دون أن يستفيد منها بمطالعة ما تصل اليه يده من الكتب ودرس اللغة الانجليزية في مدة خمسة أشهر في احدى المدارس الليلية مع مزاولة شغله طول نهاره وبعض ليله وفي سنة ١٨٨١ صحت عزيمته على ترك شغله وطلب العلم فلاح له ان الطب خير وسيلة تقربه من العلم وتساعده على الكسب فدرس العلوم الاعدادية كلها على أحد أصدقائه بمدة لا تتجاوز الشهرين والنصف ولما حان أوان افتتاح المدرسة تقدم للامتحان وجازه بنجاح باهر . واجتاز السنة الاولى الطبية بتفوق على أقرانه . ولما وافت السنة الثانية عاد الى المدرسة وبعد مرور شهرين حدث اضطراب واختلال في الكلية الاميركية أفضى الى خروج معظم تلاميذها ومن بينهم صاحب الترجمة . وبعد خروجه قدم امتحاناً في فن الصيدلة مع بعض رفاقه أمام لجنة من أشهر أطباء سوريا كان بينهم مراد بك حكيمباشي العسكرية والدكتور فانديك الشهير فأحرز الشهادة بالعلوم الآتية وهي: اللغة اللاتينية والطبيعيات والحيوان والنبات والجيولوجيا والكيمياء العضوية والمعدنية والتحليل الكيماوي والمواد الطبية والاقرباذين العلمي والعملي .

وهاجر بعد ذلك الى مصر على أثر الحوادث العرابية لتكملة الطب في مدرسة القصر العيني ولكنه عدل عن ذلك واشتغل بالعلم وتولى تحرير جريدة « الزمان » وهي اذ ذاك الجريدة اليومية الوحيدة في القاهرة وليث يحررها مدة سنة الى أن كانت الحملة النيلية الى السودان عام ١٨٨٦ لانقاذ غوردن باشا فسار برفقتها مترجماً يقلم المخابرات فقضى في هذه الوظيفة عشرة أشهر حضر في خلالها المواقع الحربية كلها وكوفيء على شجاعته واخلاصه في الخدمة بثلاثة أوسمة

ولما عاد من الحلة سافر الى بيروت سنة ١٨٨٥ لطلب العلم فمكث عشرة أشهر يدرس اللغات الشرقية مثل العبرانية والسريانية واخواتهما ووضع على أثر ذلك كتابه في الالفاظ العربية والفلسفة اللغوية وانتدبه المجمع العلمي الشرقي عضوا عاملا

وفي صيف عام ١٨٨٦ زار لندن وتردد فيها على أندية العلم ودور الآثار ولا سيما المتحف البريطاني الشهير. ثم عاد الى مصر حيث تولى ادارة أشغال مجلة المقتطف ولبث في هذه الوظيفة حتى أوائل سنة ١٨٨٨ حيث استقال وانصرف الى الكتابة والتأليف فألف تاريخ مصر الحديث في جزءين ضخمين وتاريخ الماسونية العام وغيرهما . وفي أواخر سنة ١٨٨٩ تولى ادارة تدريس اللغة العربية في المدرسة العبيدية الشهيرة ولبث في هذه الوظيفة

جرجي بك زيدان حوالى الاربعين

مدة سنتين ثم تركها وأنشأ مطبعة صغيرة وانصرف الى الكتابة والتأليف ثم أصدر مجلة الهلال في أواخر سنة ١٨٩٢ وكان في أول نشأته يتولى كل شؤونه بنفسه من ادارة وتحرير ومكاتبات حتى أنه كان بنفسه يغلفه ويلصق طوابع البريد ولما اتسع نطاقها عهد بادارتها الى حضرة شقيقه النشيط متري افندي زيدان ورحل عدة رحلات الى الاستانة واوربا وفلسطين وأنشأ مكتبة الهلال الشهيرة وعهد ادارتها الى شقيقه الفاضل ابراهيم افندي زيدان

وفي مساء الثلاثاء الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩١٤ وافته المنية فجأة عند الساعة الحادية عشرة ليلا ولم يكن يشكو علة ولا أصيب بمرض وقد احتفل بدفنه احتفال عظيم يليق بعلمه وأدبه وفضله وسمو مكانته اشتركت فيه الحكومة المصرية ورجالها العظام وجماهير لا يحصى عددها من مختلف الطوائف

وبعد مرور أربعين يوما على وفاته أقيمت له حفلة تأبين أبنه فيها كبار الشعراء والخطباء وعددوا فيها مناقبه الغراء وذكروا الخسارة الجسيمة التي أصابت الشرق بوفاته.

• • •

أحمد فارس وصفاته

كان المرحوم جرجي بك زيدان ربعة القوام ممتلىء الجسم مفتول العضل أسمر اللون تلوح على وجهه مخايل الذكاء والعظمة والهمة والنشاط وكان ذا عينين متوقدتين يشعّ منهما نور الفطنة والذكاء ووجه صبوح لا تفارق الابتسامة ثغره وقد جمع الى سمو المكانة والجلال البساطة والتواضع فكان لا يأنف من مجالسة من هو دونه وكان أنيس المحضر لطيف المعشر يجتذب اليه محدثيه بقوة سرية مكنونة في فؤاده. وكان يجلس تقريبا عصر كل يوم في قهوة الشانزيليزيه بالفجالة وينضم الى مجلسه المرحومان الشيخ ابراهيم اليازجي وسليمان افندي البستاني وفريق من الشعراء والادباء أمثال خليل بك مطران وغيره وكثيرا ما كنا نرتاد ذلك المجلس العلمي الراقي ونشنف مسمعنا بأطايب الأحاديث وأنفد المسامرات

زرته ذات يوم بمنزله العامر بشارع الظاهر ومعي مستشرق روسي يدعى سالكسون كان يجيد تسع لغات قراءة وكتابة ووجدنا عنده المرحوم العلامة سليمان البستاني وفريقاً من أهل الفضل والوجاهة واشترك مع سليمان البستاني في محادثة ذلك المستشرق بالتسع لغات التي يعرفها مما أدهش الحاضرين

وكان للمرحوم صلة مراسلة مع أكثر مستشرقي أوربا وأميركا وكان عضوا في عدة جمعيات علمية وشرقية منها الجمعيات الاسيوية الايطالية والانكليزية والفرنساوية وأهدى اليه باي تونس نيشان الافتخار من الدرجة الاولى فضلا عن أوسمة حرب السودان. وأنعم عليه سمو خديوي مصر برتبة المتميز الرفيعة ومنحته الكلية السورية الاميركية في بيروت لقب شرف من ألقابها العلمية. وأصدر الهلال مدة اثنتين وعشرين سنة انتشر في خلالها انتشارا عظيما لم يعهد له مثيل بين الصحف والمجلات العربية وكان يطرق فيه المواضيع الشيقة التي تستلفت الانظار وتثير حركة علمية فكرية في النفوس

أول تأبين للفقيد

قصدنا في صيف عام ١٩١٤ فلسطين وسوريا تروحا للنفس من عناء الاعمال ولما القينا عصا الترحال في مدينة نابلس دعانا حضرة الاستاذ الجليل الشيخ فهمي افندي هاشم لتناول الغداء في بقعة غناء واقعة على رأس جبل مع فريق من أهل الفضل والوجاهة وكان من جملة المدعوين حضرة العالم الفاضل عزت افندى دروزه مدير مدرسة النجاح الوطنية الآن وكان اذ ذاك مديراً لادارة بريد وبرق نابلس ولما حضر قال لنا انه مرت بنابلس أنباء برقية مرسلة الى بيروت ولبنان تنعي صاحب الهلال فوقع هذا الخبر على الحاضرين كالصاعقة ووقف من ساعته الاستاذ الشيخ فهمي هاشم وابن الفقيد تأبينا مؤثراً ونلاه غيره ومن بينهم صاحب هذه المجلة وكان المرحوم زار نابلس قبل ذلك بعامين فأقام له أهلها حفلات تكريم متعددة خطب فيها الخطباء والشعراء ولا غرابة فأهل نابلس من كرام فلسطين يقدرون العلم وأهله حق قدره

الفقيد وأسرته

نعلم مما تقدم ان اسرة زيدان كانت في بيروت من الأسر العاملة النشيطة التي تحصل رزقها بعرق جبينها وما عتم المرحوم صاحب الهلال حتى استدعى اخوته واحداً تلو الآخر فعهد الى متري افندي كما قدمنا ادارة الهلال وما زال الى الآن يديرها بهمة ونشاط مرتكزين على اتقان العمل والاستقامة

وحضر أخوه يوسف افندي واشتغل بخياطة الملابس وتجارة الأجواخ وما زال بجده ونشاطه يسير في مضمار التقدم والنجاح حتى أخرز ثروة طائلة وأصبح من أقطاب الطائفة الارثوذكسية يخدم جمعياتها الخيرية ومشروعاتها العامة ويعد في مقدمة محسنيها وفضلائهم

واستدعى الفقيد شقيقه ابراهيم افندي وعهد اليه ادارة مكتبة الهلال الشهيرة فما زال يسير بها في مضمار الرقي التدريجي حتى أصبحت المكتبة الاولى ليس في مصر فقط بل في جميع أنحاء الشرق ولم تكتف بنشر مطبوعات صاحب الهلال بل انها

تطبع على نفقتها تآليف الكتاب المبرزين والمؤلفين النوابغ وغيرهم .

ولم يقف فضل المرحوم جرجي زيدان عند هذا الحد بل انه أنشأ مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر وعهد بادارتها الى ابن شقيقته الياس افندي دياب

وولدت مكتبة الهلال مكتبتين أخريين هما مكتبة زيدان العمومية لصاحبها الأديب حبيب افندي نجل الاديب متري افندي زيدان ومكتبة الضياء لصاحبها الاديب ميشيل افندي رحال وهكذا فان الفقيد ساعد أفراد أسرته ودربهم على الاعمال الحرة وبث فيهم روح النشاط والاقدام والاستقامة والحزم والعزم

نجل الفقيد

أنجب صاحب الهلال ومؤسسه نجلين فاضلين نشيطين أصبحا كوكبين لامعين في سماء الفضل والفخر بل غرتين في جبين الدهر هما أميل افندي وشكري اللذان شمرا عن ساعد الجد والهمة وبما أوتياه من فضل غزير وعلم وفير وفطنة وذكاء سارا في مضمار العلم سيراً مطرداً مقروناً بالنجاح مؤيداً بالفلاح فوسما نطاق الهلال وجعلاه مضماراً تتجارى فيه جياد الافكار ولم يقفا عند هذا الحد بل انهما انشأا مطبعة كبرى لا نظير لها في مصر وأصدرا مجلات المصور وكل شيء والفكاهة وهي مبتكرات في اللغة العربية جاريا فيها أكبر دور الطباعة في أوربا وأميركا

وقد اقتفيا في عملهما خطوات المرحوم والدهما في السير بالعمل بهمة ونشاط بلا فخر ولا ضجة كما يفعل غيرهم الذين يملأون أشداقهم فخراً ويملأون الدنيا صراخا ومدحاً لنفوسهم

هذه لمحة موجزة ذكرناها عن المرحوم الطيب الذكر جرجي بك زيدان ذلك الرجل العصامي العبقري الذي ظهر صغيرا ومات كبيراً وخلد له ذكراً حميداً في قلوب جميع الناطقين بالضاد وغيرهم مقرونا بالاحترام والاجلال والوقار